تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الجاثية | من الأية 61 إلى 02

عبدالرحمن العجلان

اجمعين وبعد الحمد لله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم - 00:00:00

الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون - 00:00:37

انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة هذه الايات الكريمة من سورة الجاثية يقول الله جل وعلا - 00:01:02

ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين جاءت بعد قوله جل وعلا قل للذين امنوا يغفرون للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكفرون - 00:01:40

من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون. ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة هذه الايات في بني اسرائيل فيها بشارة وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم - 00:02:11

وللمؤمنين وفيها نذارة وتخويف لكفار قريش لان الله جل وعلا ناصر رسوله والمؤمنين وانه جل وعلا منتقم ممن خالف رسوله وعصى امره يقول تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اللام هذه موطئة للقسم يعبر عنها العلماء - 00:02:43

والله جل وعلا يقسم اخباره جل وعلا كلها صادقة ولا شك فيها وهو جل وعلا يقسم بما شاء من خلقه لزيادة التأكيد واما المخلوق فلا يجوز له ان يقسم الا بالله - 00:03:24

او بصفة من صفاته فلا يجوز للمخلوق للعبد ان يقسم بالاب ولا بالام ولا بالابوين ولا بالكعبة ولا بالرسول ولا باحد من الخلق كائنا من كان لان المقسم اذا اقسم بشيء ما - 00:03:46

فقد اعطاه منتهى التعظيم ولا يجوز ان يعطي العبد منتهى التعظيم الا لمن يستحقه وهو الله جل وعلا فانت اذا اذا اقسمت بشيء فقد عظمته التعظيم المطلق. ولا يجوز ان تعظم التعظيم المطلق الا الله جل وعلا - 00:04:08

والله جل وعلا يقسم بما شاء من خلقه ولقد اتينا اعطينا بني اسرائيل الكتاب الكتاب التوراة كما قال جمهور المفسرين وقيل المراد مطلق الكتاب ليشمل التوراة والانجيل والزبور الجمهور قالوا المراد الكتاب فقط التوراة فقط - 00:04:37

لا غيرها لانه هو الذي فيه الحكم لان الزبور دعاء وتضرع فقط واما الانجيل ففيه قليل من الاحكام جدا. قليل جدا من الاحكام وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام مأمور بالحكم بالتوراة - 00:05:09

الكتاب المشتمل على الاحكام والتشريع هو التوراة اتينا ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم الفهم وادراك الامور والحكم بين الناس والنبوة جعل الله جل وعلا فيهم الانبياء كثر وما مات نبي الا وخلفه نبي - 00:05:38

وقد يكون في الزمن الواحد وفي البلد الواحد اكثر من نبي والله جل وعلا اكثر الانبياء في بني اسرائيل ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة هذه فضائل اخروية تتصل بامور الاخرة - 00:06:10

ثم ذكر ما فضلهم به واعطاهم اياه في الدنيا فقال ورزقناهم من الطيبات وذلك ان اكثر بني اسرائيل في الشام والله جل وعلا جعل

في الشام من الخير والبركة والانهار والفواكه والاطعمة ما لا يوجد في غيره - 00:06:38
وهي البلاد المباركة وسماها الله جل وعلا مباركة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين. فظل الله جل وعلا بني اسرائيل على العالمين في زمانهم على الامم من غير بني اسرائيل في زمانهم. وهذا التفضيل لا يشمل تفضيلهم على امة محمد صلى الله عليه - 00:07:02
عليه وسلم وذلك ان الله جل وعلا فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الامم في قوله جل وعلا كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته - 00:07:34
والايات في تفضيل هذه الامة على سائر الامم كثير. اذا معنى قوله جل وعلا وفضلناهم على العالمين كما قال قال بعض المفسرين على العالمين اي عالم زمانهم لان في عالم زمانهم كثير - 00:07:57
من بني اسرائيل ومن غيرهم ففظل الله جل وعلا بني اسرائيل على غيرهم من الامم بما اعطاهم الله جل وعلا وفضلهم فيه من الكتاب والحكم والنبوة والطيبات رزقهم الله جل وعلا في الدنيا - 00:08:17
يذكر تعالى ما انعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم وارسال الرسل اليهم وجل وجعله الملك فيهم ولهذا قال ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات - 00:08:43
اي من المآكل والمشارب وفضلناهم على العالمين. اي في زمانهم واتيناهم بيناتناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون - 00:09:04
واتيناهم بينات من الامر بينات شرائع واضحات بين بين الله جل وعلا الحلال وبين الحرام وبين العبادات التي يتعبدون بها الله جل وعلا وبين لهم ما يجب ان يحذروه ويجتنبوه - 00:09:33
لان الانبياء يبينون لهم حكم الله جل وعلا واتيناهم بينات من الامر. وماذا ينبغي لهم عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ووصف الله جل وعلا لهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذا بعث فيهم وامرهم بان يتبعوه - 00:10:05
فهم على جادة واضحة مستقيمة لا اختلاف فيها وهذا مما امتن الله جل وعلا به عليهم واتيناهم بينات من الامر يعني جعلنا شرعهم واضحا بينا لا اختلاف فيه لكنهم اختلفوا. ومتى كان اختلافهم - 00:10:33
في وقت كان الاولى ان يكون الاتفاق فيه فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وهذه من المآخذ التي اخذت عليهم كان اختلافهم لما جاءهم الامر واضحا جليا اختلفوا فيه - 00:11:05
ولو كان اختلافهم قبل ذلك لكان لهم عذر فيه ولكن اختلافهم كان في وقت بعد ما اتضح الامر وظهر كما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم كان اختلافهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم - 00:11:30
وكانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يتوعدون المشركين من الاوس والخزرج وغيرهم يقولون قد حان وقت مبعث نبي يبعث فنتبعه كما امرنا الله ثم نقاتلكم معه وكانوا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم يتوعدون الناس بمبعثه - 00:11:59
بعث اختلفوا فيه واختلافهم هذا ليس عن جهل ولا عن عدم علم ولا عن عدم وضوح وانما بغيا وحسدا كما قال الله جل وعلا فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - 00:12:33
باغيا وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم والا فقد عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرفة حقيقية كما اخبر الله جل وعلا انهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وعبدالله بن سلام رضي الله عنه وارضاه اليهودي الذي اسلم - 00:13:02
ساعة ما قابل النبي صلى الله عليه وسلم عرفة وامن به بلا تردد لانه موفق وفقه الله جل وعلا وامن واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من خيار اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان افضلهم بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم - 00:13:28
ولكنه رضي الله عنه يعرف انهم اهل بهت وكذب وافتراء قال يا رسول الله بعدما شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال يا رسول الله احب ان تسأل عني قومي قبل ان يعلموا باسلامي - 00:13:56
لاني اعرف اني اذا علموا باسلامي اتهموني باتهامات انا بريء منها وما يدريك عني يا رسول الله فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم لما

حضروا عنده ما تقولون في ما منزلة عبد الله ابن سلام بينكم؟ قالوا افظلنا وابن - 00:14:19
وخيرنا وابن خيرنا وعالمنا واثنوا عليه خيرا وقال رضي الله عنه اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عند ذلك انقلبوا عليه بالسب والاتهام وكذاب ومفتري وو الى اخره. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الم اقل لك يا رسول الله - 00:14:39
يعرف قومه انهم اهل كذب وافتراء وبغي وعدوان من هذا ان لا يطمئن اليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسلم حقا رضي الله عنه وارضاه كما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - 00:15:02
لاجل البغي والحسد والمحافظة على رياستهم واموالهم يظنون انهم اذا اسلموا بخست اموالهم او انهم اذا اسلموا ذهبت الرئاسة عنهم او نحو ذلك مما يلقي الشيطان في نفوسهم يقول الله جل وعلا - 00:15:27
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذا الاختلاف الذي حصل متى يكون الحكم يوم القيامة يوم يوفى كل انسان ما عمل ان خيرا فخير وان شرا فشر والعياذ بالله - 00:15:48
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيما اختلفوا فيه لانه اختلفوا وتنازعوا في الحق واتيناهم بينات من الامر اي حجج وبراهين وادلة قاطعات فقامت عليهم الحجج - 00:16:14
ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجج وانما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي سيفصل بينهم بحكمه وعدله - 00:16:36
وهذا فيه تحذير لهذه الامة ان تسلك مسلكهم وان تقصد من منهجهم. ولهذا قال ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها هذا تحذير - 00:16:56
لهذه الامة ان تسلك مسلك اليهود مسلك بني اسرائيل جاءهم العلم فاختلفوا وهذه الامة يحذرها الله جل وعلا من الاختلاف بعد العلم والبيان ثم جعلناك على شريعة. الشريعة في الاصل - 00:17:20
يا اما يكثر التردد عليه او هو المسلك الذي يوصل الى شيء ما او هو المغذي الذي يغذي ولهذا تسمى البركة التي تردها الدواب والادميون للسقي والشرب منها تسمى شريعة - 00:17:46
كل يرد اليها وكذلك الشريعة الاسلامية موصلة الى الجنة والى رضوان الله جل وعلا جعلناك على شريعة من الامر شريعة شأنها الوضوح والبيان والامر يطلق ويراد به معنيين المعنى الاول الشأن - 00:18:10
الامر الشام كما قال الله جل وعلا واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد اتبعوا شأن فرعون وما شأن فرعون برشيد ويأتي الامر بمعنى مقابل النهي هذا مأمور به وهذا منهي عنه. اي جعلناك على امر على شأن واضح يصلح - 00:18:41
وجعلناك على شريعة من الامر انت مأمور بها منهي عن مخالفتها جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها اعمل بها واحذر ان تزيغ عنها او ان تنصاع انت يا محمد لعروب الكفار لان الكفار حاولوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك دينه - 00:19:11
وعرضوا عليه عروضا كثيرة مغرية لعله يستجيب لهم فحذره الله جل وعلا وقال ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اتبع الشريعة التي اوحى الله جل وعلا بها اليك وتمسك بها وهذا امر له صلى الله عليه وسلم وامر للامة لان الله جل وعلا يعلم ازلا - 00:19:47
ان محمد لا يخالف شريعة الله قوله واتبعها يعلم الله ان محمدا يتبعها. ولا يحيد عنها. لكن هذا امر له صلى الله عليه وسلم وامر امة بالتمسك بالشريعة والعض عليها بالنواجذ. والحذر من الزيغ - 00:20:19
عنها او تحريفها او تأويلها او البعد عنها كما فعلت الامم قبل هذه الامة ومن المعلوم انه سيوجد في هذه الامة كثر ينحرفون عنها ويزيغون عنها كما قال صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة - 00:20:41
حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فاولئك حرفوا وبدلوا وغيروا وسيوجد في هذه الامة ووجد بالفعل من فعل ذلك. لكن هذا تنبيه للامة ان لا تسلك وقد خالف الكثير منهم امر الله جل وعلا - 00:21:07
فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون لا تتبع لا تطعهم انهم سيحاولوا وهم في كل زمان ومكان يحاولون ان يصرفوا اهل السنة والجماعة عن مبدأهم عن طريقتهم عن شريعتهم يحاولون ان يعرقلوا يحاولون ان - 00:21:28

يكرهونها للناس او يجعلونها قاسية شديدة لا تتحملها الامة ونحو ذلك مما يقولون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون. ثم خوفه الله جل وعلا في قوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا - 00:21:53

ما يستطيعون لو اتبعتهم ما يستطيع ان يمنعوا عنك العذاب ما يستطيعون ان ينقذوك من عذاب الله جل وعلا. انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا. اذا عصيت امر الله جل وعلا - 00:22:20

لا احد يستطيع ان يحول بينك وبين عذاب الله. فليس بيدهم من الامر شيء وانما الامر كله لله تعالى ثم بين جل وعلا ان الظالمين يتولى بعظهم بعظا في الدنيا ثم تنقلب تلك - 00:22:41

والاية عداوة كما قال الله جل وعلا وان الظالمين بعظهم اولياء بعظ هذا في الدنيا وفي الاخرة كما قال الله جل وعلا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين تنقلب المحبة والالفة اتفاق في الدنيا فيما بينهم ينقلب عداوة - 00:23:05

وبغضاء وكراهية. ويلعن بعضهم بعضا والعياذ بالله وان الظالمين بعظهم اولياء بعظ والله ولي المتقين. هو جل وعلا يتولى المتقين الذين يتقون الشرك ويتقون المعاصي ويتقون ما يسخط الله والله جل وعلا يتولاهم في الدنيا والاخرة. يتولاهم في الدنيا بالتشديد. والتوفيق - 00:23:39

وتهيئة العمل الصالح لهم وتيسيره وسلامة قلوبهم وعمل ابدانهم في طاعة الله تولاهم في الاخرة بجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين وفي قوله جل وعلا والله ولي المتقين دليل على ان الظالمين لا ولي لهم في الدار الاخرة - 00:24:14

والله ولي المتقين خاصة واما اولئك فهم يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وفي الاخرة تنقلب هذه عداوة وبغضاء فيما بينهم ثم اجعلناك على شريعة من الامر فاتبعها من يتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو - 00:24:42

واعرض عن المشركين وقال ها هنا ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا - 00:25:06

فانهم لا يزيدونهم الا خسارا ودمارا وهلاكا جل وعلا على كتابه العزيز الذي فيه سعادة الدنيا والاخرة ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم. في امور الدنيا وفي امور الاخرة - 00:25:28

يهدي للتي هي اقوم مطلقا وقال جل وعلا هذا اي القرآن فصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بصائر يعني بصر قصيرة نور في القلب لمن وفقه الله جل وعلا - 00:25:53

ونور القلب وبصر القلب هو الاهم لانه اذا كان المرء اعمى في قلبه والعياذ بالله فما ينفعه بصر عينيه واذا كان بصيرا في قلبه فلا يظره عمى عينيه هذا بصائر - 00:26:20

نور وبشر في القلب وهدى واستقامة وصلاح هذا بصائر للناس. لعموم الناس لمن وفقه الله جل وعلا منهم وهدى دلالة وارشاد وايضاح ورحمة يرحم الله جل وعلا به من شاء من عباده. فمن سلك سبيل القرآن فهو مرحوم - 00:26:45

ومن حاد عنه ومال عنه يمينا او شمالا ظل ظلالا مبينا ورحمة لقوم يوقنون يعني من شأنهم الايقان وعدم الشك والثبات على الحق يعني ما يترددون اذا علموا امرا امر به القرآن اخذوا به وعظوا عليه بالنواجذ - 00:27:23

قال السالكون وشيء نهى عنه القرآن اجتنب اجتنبوه وحذروه وان اخذ به الناس جلهم ولا تنظر الى من هلك كيف هلك. انما العبرة فيمن نجا كيف نجا العبرة في من وفقه الله لطريق السعادة والاستقامة وان قل معه السالكون - 00:27:51

هذا ثناء على القرآن وامر من الله جل وعلا للعباد بالاخذ به والعض عليه بالنواجذ وتحكيمه في شؤون الحياة والاستبصار به في كل شيء الصلاة والصيام والزكاة والحج والبيع والشراء والتعامل والسياسة وغير ذلك هو مرجع للمسلمين للمؤمنين في - 00:28:23

شؤونهم كما قال الله جل وعلا ما فرطنا في الكتاب من شيء كل شيء من عبادة او معاملة او اخلاق او اداب كلها موجودة في القرآن والحمد لله منها ما هو موجود بالتفصيل ومنها ما هو موجود اجمالا وفصله المصطفى صلى الله عليه وسلم - 00:28:56

فمن اخذ بالقرآن اهتدى وسعد في الدنيا والاخرة. ومن اعرض عنه ظل والعياذ بالله ظلالا مبينا والله ولي المتقين وهو تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات - 00:29:26

ثم قال هذا بصائر للناس يعني القرآن هدى ورحمة لقوم يوقنون والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:29:52